

المرأة الجزائرية وتحديات النسق الاجتماعي خلال العهد العثماني

(دراسة مقارنة بين المرأة الريفية والحضرية)

Les femmes algériennes et les défis du système social à l'époque
ottomane

(Une étude comparative entre les femmes rurales et urbaines)

ليلي سعداوي

جامعة حسينية بن بوعلي (الجزائر)، lilasaadaoui7@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021/11/02 تاريخ القبول: 2019/02/11 تاريخ النشر: 2022/03/31

ملخص:

تتمحور هذه الورقة البحثية حول دور المرأة في المجتمع العثماني، وكيف ساهمت فيه من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، في دراسة مقارنة بين المرأة الريفية والحضرية، والتي اختلفت فيه الواحدة عن الأخرى، في نمط عيشها وطبيعة حياتها، وفي مهنة كل واحدة منهن، ويعود هذا الاختلاف إلى خصوصيات المدينة والريف خلال العهد المذكور من جهة، وإلى تنوع الطبقات الاجتماعية من جهة أخرى.

الكلمات المفتاحية: المرأة، المجتمع العثماني، الريف، الحضر، النسق الاجتماعي، الحرف.

Résumé :

Ce document de recherche se concentre sur le rôle des femmes dans la société ottomane, et comment elles y ont contribué en termes économiques et sociaux, dans une étude comparative entre les femmes rurales et urbaines, car elles diffèrent les unes des autres, dans leur mode de vie et leur mode de vie, la nature de la vie, Et dans la profession de chacun d'eux, et cette différence tient aux particularités de la ville et de la campagne à la période précitée d'une part, et à la diversité des classes sociales d'autre part.

mots clés: Femmes, société ottomane, rural, urbain, modèles sociaux, artisanat

1. مقدمة:

لعبت المرأة الجزائرية خلال العهد العثماني دورا مهما في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، من خلال مساهمتها في العديد من المهن التي اكتسبت البعض منها من الأندلسيات، التي تميزن بذوقهن المختلف من حيث الموروث المادي الذي ما لبث أن ذاب في المجتمع الجزائري نتيجة الاحتكاك بين الإرثين معبرين بذلك عن الحياة التي جمعت بين الأصالة الجزائرية والمعاصرة الأندلسية وقتذاك، وبينت حقيقة الدور الفعلي للمرأة في الحياة الاقتصادية، نافيتا بذلك اقتصار دورها على الأعمال المنزلية وتربية الأولاد.

وتعود مشاركة المرأة في الحياة الاقتصادية إلى حاجتها لذلك، فعمل المرأة الريفية كان يهدف سد حاجيات البيت ومواجهة الظروف القاهرة من خلال العمل داخل المنزل وخارجه، بينما عمل المرأة الحضرية كان يقتصر على ممارسة المهنة أو الحرفة دون القيام بالأعمال المنزلية، متحديتا بذلك النسق الاجتماعي القائم على عدم عملها ومشاركتها في الحياة العامة.

ليكون الهدف من هذه الورقة البحثية هو معرفة تموقع المرأة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني، والبحث عن الدور البارز الذي لعبته وقتذاك، بالإضافة إلى البحث عن مميزات الواقع الاجتماعي عبر فترات التواجد العثماني في الجزائر من خلال تفسير وتحليل المعلومات الواردة في الدراسات التاريخية حول هذا الموضوع الذي تمحور حول: البحث عن دور المرأة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية خلال العهد العثماني؟

2. الطبقات الاجتماعية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني

شهدت الجزائر خلال العهد العثماني تغيرات كبيرة في التركيبة السكانية التي انقسمت حسب الأهمية الاجتماعية، عاكستا بذلك التنوع العرقي المنسجم والمتميز رغم

اختلاف الأجناس التي كانت لا تعرف الطبقة في الغالب باستثناء بعض القبائل التي حظيت بالعديد من الامتيازات الإدارية والاجتماعية. وقد قسم المجتمع الجزائري خلال العهد المذكور حسب المؤرخين إلى قسمين مختلفين الأول ضم سكان المدن، والثاني ضم سكان الأرياف.

1-2 سكان المدن: تميز سكان المدن بالأقلية وتنوع فئاتهم التي كانت كمايلي:

1-1-2 الأتراك:

احتل الأتراك المرتبة الأولى في السلم الاجتماعي بعدد سكان تجاوز 20 ألف نسمة (السليمان، تاريخ مدينة الجزائر، 1989، ص 31)، وهي وتيرة ثابتة في الغالب لأن هجرة هؤلاء إلى الجزائر كانت قليلة ونادرة، نظرا لاختلاف التركيبة الاقتصادية والاجتماعية بين الجزائر والقسطنطينية، الأمر الذي جعلهم ينظرون إلى الجزائريين بنظرة أقل منهم، ووتر العلاقات بينهم لدرجة أن الأتراك أصبحوا لا يجندون أي جزائري في الحماية (هابنسترايت، 2013، ص 29)، التي انتشرت بصفة خاصة في المدن التي شهدت أواخر القرن 18م تطورا ملحوظا في بناء مساكنها الفخمة، ويعود الفضل في ذلك إلى الجزائريين الذين تفتنوا في زخرفتها وفي أشكالها الهندسية وأقوامها وألوانها الزاهية. وتجدر الإشارة إلى أن تلك المدن لم يسكنها الأتراك لوحدهم بل سكنها الجزائريين أيضا، ولكنها ليست بنفس التخطيط العام ولا بنفس الجانب الزخرفي والفني والأبعاد التي ملكها الأتراك خاصة والطبقة الغنية عامة (بله، المصنوعات الخشبية بقصور قصبة مدينة الجزائر واواخر العهد العثماني (دراسة أثرية فنية)، 2001-2002، ص 78).

2-1-2 الكراغلة: ارتبطت هذه الفئة بالوجود العثماني في الجزائر، وتعددت

الآراء حول نسبهم فحمدان بن عثمان خوجة يذكر أن هذه الفئة تكونت نتيجة تزواج العرب بالأتراك (خوجة، 2006، ص 63)، أما هابنسترايت فيشير إلى أنهم المنحدرون من أباء أتراك وأمهات جزائريات ورغم ذلك لا يستطيعون الوصول على المراتب العليا والكبيرة في الدولة (هابنسترايت، ص 29)، ونتيجة لذلك تم تصنيفهم في الفئة الثانية من

السلم الاجتماعي، ولكن هذا لا يعني عدم توليهم المناصب الإدارية والرتب العسكرية المختلفة، ويوضح خليفة بن حمّاش في ذات السياق أن الجيل الأول من الكراغلة يبقون في الطبقة الأولى من المجتمع بعد الأتراك، أما الجيل الثاني منهم فإنهم لا يعتبرون كراغلة أو "قول أوغليين" وإنما من الأهالي. ولكنها تبقى قاعدة غير ثابتة لأن بعض الأشخاص الذين ينتمون إلى فئة الأتراك، وكانوا من الأسرة الحاكمة هم الطبقة الثانية أو الثالثة أو أكثر وتولوا مناصب عليا ووظائف إدارية مهمة، ورتب عسكرية سامية لا يحق للجزائريين توليها (حمّاش، 2006، ص 67)، وتجدر الإشارة على أن هؤلاء كانوا يقيمون في المدن التي بها حاميات تركية ويتقاسمون المدينة مع طبقة الحضر.

2-2 الحضر: تمثل فئة الحضر الغالبية الكبرى لسكان المدن الذين تشكلوا أيضا من مجموعة من الطبقات الاجتماعية التي كان على رأسها:

2-2-1 الأندلسيين:

سميت هذه الفئة نسبة إلى بلدهم الأندلس التي فروا منه نتيجة الاضطهاد المسيحي، ولقد احتلوا مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري، وتجمعوا في المدن الكبرى كالجائر ووهران وبعض السواحل الجزائرية الأخرى، وتمكنت هذه الفئة من المشاركة في الاقتصاد الجزائري وتطويره، من خلال إدخال مجموعة من التقنيات في الجانب الصناعي والزراعي والتجاري، ليشكلوا بذلك نواة التغيير في المجتمع الجزائري الذي نشروا فيه أنماط الحضارة الأندلسية العريقة.

2-2-2 الأشراف:

ارتبط اسم هذه الفئة بأصحاب الشأن والجاه والمكانة والفضل، ولقد تميزت عن غيرها بإدارة شؤون أهل المدينة، وتركزوا في منطقة القبائل بصفة خاصة، وتمكنوا من المشاركة في مهام التعليم وإصدار الفتوى، بالإضافة إلى الإشراف على الزواج والطلاق وفض النزاعات

بين الأطراف، واعتمدوا في هذه المهام على العديد من العائلات العريقة أمثال عائلة آل مقران بمجانة، عائلة سيدي علي بن الشريف في يلولة، وعائلة آل قاضي بإمارة كوكو عائلة آل سحنون الصهر يحي (القبائل الكبرى - تيزي وزو-)، عائلة الورثاني (بجاية) (شويتام، 2009، ص ص 251-252)

2-2-3 البرانية:

تتكون البرانية من مجموعات هاجرت إلى الجزائر واستقرت في المدن الكبرى، وقد انتظمت هذه الفئة حسب أصولهم بحيث نجد منهم البساكرة، الأغواطيون، الجيجليون، الميزاييون، القبائل وغيرهم، وكانت لكل فئة مهنتها الخاصة بها والتي كانت شاقة في غالبية الأحيان.

2-2-4 اليهود:

تميز اليهود عن غيرهم من الفئات باستقرارهم في المدن الكبرى، وممارستهم للأعمال الاقتصادية المتنوعة كالسمسرة والعمليات التجارية، والعمل في الصناعات الحرفية كالذهب وغيرها، وتجدر الإشارة إلى أن هؤلاء انقسموا إلى فئتين الأولى يهود الجزائر والثانية هم اليهود الأوروبيين (محرز، 2013، ص ص 158-159).

2-3 سكان الأرياف:

تميز سكان الأرياف عن غيرهم بكثافتهم السكانية، فهم الأغلبية الساحقة في المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني بما نسبته 95 % وتضم هذه المجموعة قبائل المخزن وقبائل الرعية. وتعرف قبائل المخزن على أنها فئة سكانية ذات صبغة إدارية وفلاحية وعسكرية، وهي حلقة الوصل الأولى بين الأهالي والحكام، أما قبائل الرعية فهم فئة خاضعة مباشرة للبايلك وتقيم في الدواوير وتجدر الإشارة إلى أن قبائل المخزن بإمكانها أن تجند قبائل الرعية في كل وقت، ليتبين بذلك أن التركيبة الاجتماعية للجزائر خلال العهد العثماني ما

هي الا جماعات وفئات تخضع لعادات وتقاليد معينة وقوانين صارمة مكنتها من الحفاظ على الاستقرار الداخلي والتعايش فيما بينها.

3. عادات وتقاليد المجتمع الجزائري خلال العهد العثماني:

في ظل الواقع الاجتماعي السابق الذكر، ومن خلال التركيبة السكانية الموضحة بإمكاننا معرفة دور المرأة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية خلال العهد العثماني، واستخلاص أسباب امتهان كل فئة لحرفها المتميزة، ساعيتا من جهة إلى الحفاظ على العادات والتقاليد المتوارثة، وقيامها بالأشغال اليدوية، وغزل الصوف، ونسج البرانس، والقيام بأعمال التطريز وغيرها، ومن جهة أخرى إلى سد رمق عيشها وتوفيرها للحاجيات الضرورية اللازمة لها.

3-1-1 لباس وعادات المرأة خلال العهد العثماني:

انقسمت ملابس النساء الجزائريات حسب الفئات الاجتماعية، فالمرأة الريفية التي تقطن البادية كانت تلبس الحايك وتلبس تحته قميص أو سراويل، وأحيانا تحول جزئه العلوي إلى كيس لحمل أولادها، كما تقوم بتغطية رأسها بقطعة قماش قد تتخللها خيوط ذهبية وفضية وتلبس معها قطعة مثلثة من القماش قد زركشت ولونت بتفنن كبير وتتدلى على الظهر (سبنسر، 2006، ص 106).

أما نساء المدن والفحوص فقد كن أكثر أناقة، وملابسهن أكثر دقة، وربما يعود ذلك إلى انعزالهن عن الأخريات، بالإضافة إلى تأثرهن بطراز الملابس الموجودة في القسطنطينية الذي جلب إلى الجزائر بواسطة المبعوثين، أما نساء الأتراك المتزوجات فكن يلبسن (الفارملة)، وهي لباس ذو حزام ومفتوح عند الصدر، مع معطف أو أكثر بأكماف قصيرة، مع أو إلى جانب ألبسة داخلية تتدلى على سراويل مطلوقة عندما يكن في المنزل، أما عند خروجهن للحياة العامة فإنهن يلبسن ثوبا مزركشا من ثلاث طبقات يصل طوله إلى

الركبة، ويتحزمن بشاش مركزش عريض وفوق كل هذا حايك أبيض ومججن حتى عيونهن بقطعة قماش شفافة بيضاء (نفسه، ص ص 106-107).

أما عن عاداتها فكان الذهاب إلى الحمام من أبرزها على الإطلاق وكان الذهاب إليه مرة في الأسبوع، لتبادل الأخبار وإبراز الملابس والأزياء، فبرجوازيات مدينة الجزائر مثلا كانت تحملن أشرطة ثقيلة الوزن حول العنق والرقبة للتباهي والزينة (نفسه، ص 108)، ويعتبر الحمام من أهم مراسيم الاحتفال بالزفاف في محفل نسائي بهيج، ومن ثم تقوم النسوة بوضع الحناء للعروس في عادة راسخة تأتي الزوال، ومن بعدها تأتي الماشطة التي كانت تتواجد في غالب الأحيان وهي امرأة تحمل عكازا فضيا وخاتما ملكيا تضعه كعلامة على جميع الهدايا المقدمة بما في ذلك أدوات الحناء، ولقد اشتهرت النسوة بلبس القبقاب الذي اختلفت أشكاله وأنواعه وكان أحيانا يزين بصفائح من الفضة (كريم، 2007، ص ص 42-43). ولم تقتصر الحمامات على حفلات الزفاف فقط بل كان حتى الحجيج يحتفلون فيها قبل ذهابهم لأداء مناسك الحج، ليكتسب الحمام بذلك مرتبة مهمة في سلم عادات وتقاليد الجزائر المحروسة.

4. الحرف التي مارستها المرأة في المدينة والفحوص

4-1 حرفة التطريز:

اعتبرت أشغال التطريز وكل ما له علاقة بالإبرة النشاط الأساسي لنساء مدينة الجزائر، وكانت المطرزات قد تخصصن في القطاع الخاص بالتوافذ، وبألبسة الرأس وبالمحارم البدوية، وكذا تطريز القفطان والأدوات الأخرى من الألبسة الخاصة بالنساء والرجال، وكان التطريز يأخذ منهن وقتا كثيرا، وقد شمل التطريز حتى أغطية النوافذ التي تصنع في الأناضول والشرق (نفسه، ص ص 109-110)، وكانت هذه المهنة من اختصاص النساء الأندلسيات التي كن يتمتعن بحياة رغيدة، حيث كان الخدم يقومون بأشغال المنزل وهن يقمن بالتطريز، ليكون عمل المرأة في المدينة أقل شقاء وأكثر مالا من المرأة في الريف.

4-2 الأندلسيات وصناعة الحرير:

اشتهرن الأندلسيات بصناعة الحرير في ورشات لصناعة الأنسجة الحريرية، وقد جلبن النساء معهن هذه الخبرة من الأندلس (غطاس، 2000-2001، ص 315)، وتعتبر الملابس المرأة الحقيقية لحضارة أي مجتمع كونها تعبر عن نمط معيشة الأفراد وأوضاعهم الاقتصادية في فترة معينة، وهذا ما دفع بياني PANATI إلى أن يقارن بينها وبين المرأة المغربية واصفا إياها بأنها كانت أكثر أبهة (خيراني، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1818-1830، 2012-2013، ص 130).

ولقد كان التطريز على الحرير يتم بالإبرة باستعمال خيوط ملونة وتسمى عادة بالرقام، وكان التطريز ينفذ على منسوجات موحدة اللون وبخطوط متعددة الألوان، ومن أهم القطع التي كانت تزين بالتطريز نذكر المناديل والأحزمة والوسائد والمحازم وغيرها (طبيان، 1990-1991، ص 61)، لتظهر بذلك براعة الأندلسيات في التطريز على الحرير وإبراز مهارتهن في هذه الحرفة (نفسه، ص 63).

4-3 صناعة القباطين:

اعتبرت هذه الصناعة من أهم الصناعات التي تعلمتها المرأة وقامت بالتفنن فيها، خاصة فيما يخص الضفائر التي كانت تعهد لها، والشربات والأزرار التي كان يستعمل في صنعاتها قالبا يتكون من خيوط مكتلة ومغطاة بالشمع، مشكلة بذلك أشكالا بيضوية أو أسطوانية أو كمثرية، ثم يلوى عليها خيط ذهبي أو فضي وتستعمل الشربات في البرانس وأطراف الأحزمة وبعض السترات (نفسه، ص 76-77)، لنلاحظ براعة وفن المرأة في فن التطريز الذي تميز بالجودة العالية الأمر الذي جلب أنظار الغربيين، حيث يذكر قيوفل قوتي أن الجزائريين يعتبرون من أبرع الحرفيين في باب التطريز، والجزائر تعد أثينا في هذا الميدان، وتجدر الإشارة إلى أن النسوة استعملن غرزا عديدة وتقنيات متنوعة (نفسه، ص 79).

4-4 صناعة المنسوجات:

اشتهرت الصناعات النسيجية العثمانية خلال القرنين 16 و 17م في كل الأماكن تقريبا، والتي تميزت عن غيرها برسومات أشكال الأزهار والورود، ولقد كان الصناع العثمانيون يصنعون صور الطيور فوق الأشجار وصور أوراق الأشجار، دون العزوف عن الزخرفة الهندسية التي تقوم على أشكال الدوائر والمثلثات والمربعات والمعينات والزخارف النجمية، ولقد كانت الأزهار والورود بأنواعها، والأشجار والفروع النباتية من أفضل الوحدات التي تهاواها المرأة وتفضلها (نفسه، ص ص 80-82)، نظرا لسهولة تلفتها ولتفنها فيها ولقدرتها على الإبداع فيها.

4-5 صناعة الجلابيب:

هي إحدى الصناعات التي تفننت فيها المرأة الجزائرية، والتي قامت بحياكة صنفين منه كان شكل الأول منه عبارة عن قميص يشبه قميص المرأة التركية، وقد أظهرت فيه المرأة الجزائرية مهارتها وبراعتها الخاصة عند تطريزه جعلت منه لباسا فخما يضاهاى قميص المرأة التركية في اسطنبول، ولقد كانت الزخارف مبالغ فيها، تجعل القميص غالي الثمن، ويكسب الألبسة قيمة كبيرة، مما جعل البعض منها يساوي ما بين 500 و 600 ليرة وبالتالي لا يستطيع الكل كسبها، ليقصر بذلك على فئة معينة من المجتمع الجزائري، ولكنه فقد قيمته المالية بمرور الوقت واختلقت طريقة خياطته حسب رغبة النساء الأندلسيات التي أدخلت فيه واهر وألوان تتماشى مع موضة العصر وقتذاك (نفسه، ص ص 100-101)، أما الشكل الثاني فكان بسيطا للغاية وكانت ترتديه النساء البسيطات.

4-6 صناعة القفطان:

اعتبر القفطان رمز الأبهة والفخامة خلال العهد العثماني والذي جلبه الأتراك معهم، ويصنع القفطان عادة من الحرير الدمشقي وأنواع أخرى من الساتان الغالي الثمن للنساء الغنيات، لتكون صناعته مرهونة بذوقها الخاص وبقدرتها المالية، التي كانت تساعد

على تطريز قفطانها في الغالب بالذهب والفضة على الكتفين، وفي الأمام وكذلك الأكمام، وتميز القفطان عن غيره من الألبسة بأزراره الكبيرة التي تمتد على مستوى الحزام (نفسه، ص 106-107).

4-7 المرأة الجزائرية والبنيقة:

اشتغلت المرأة الجزائرية خلال العهد العثماني على البنيقة، إذ قامت بتطريزها كليا باستخدام أجود الألوان، وتنفيذ أجود التقنيات المعروفة في فن التطريز الجزائري، فوضعت على حوافها أشربة مطرزة وأخرى مخرمة منفذة بخيوط بيضاء أو ذهبية وتنتهي بأهداب تتماشى والخيوط المستعملة في الأشرطة (نفسه، ص 123).

4-8 المرأة الجزائرية والصرمة:

شاع استعمال الصرمة خلال العهد العثماني، وكانت المرأة تحرص على وضع الغالية الثمن منها والمرصعة بالجواهر الذهبية، واللؤلؤ والماس في المواسم والأعراس، وبذلك تكون الصرمة بما فيها من ذهب وجواهر عبارة عن قطعة ثينة تصل ثمنها إلى 700 و 800 ليرة، وفي بعض الأحيان تزيد عن 1000 ليرة أي ما يعادل 100 قطعة ذهبية، ولقد كانت الصرمة تلبس من طرف أشخاص من درجة اجتماعية معينة ولكنها اندثرت مع مرور الوقت بسبب تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية، ولكنها بينت الفرق بين النساء ذات الطبقة الراقية والنساء البسيطات الفقيرات، ويجب أن نوضح بأن هذه الصرمة كانت تصنع من طرف الرجال لا النسوة نظرا لتعقيداتها (نفسه، ص 131).

4-9 المرأة الجزائرية والशल:

هو عبارة عن قطعة قماش من نسيج الكتان، في بطانة مربعة الشكل تنتهي بأهداب ومزخرفة بأشكال نباتية ولا يترك بينها فراغ، ولقد كانت من أهم أزياء الجزائريات المخصصة للطبقات الاجتماعية الغنية، ولقد نسب إلى المرأة القبائلية خلال القرن 16م (نفسه، ص 135).

5. المرأة الريفية وعملها خارج المنزل:

عملت المرأة الريفية داخل المنزل وخارجه، ولقد كانت حياتها شاقة مقارنة بالمرأة في المدينة والفحوص، لأن ما جعلها تعمل خارج المنزل هي الحاجة إلى المال لسد رمق العيش، فبعد أن كانت تقوم بأشغال البيت من استحضر الماء والخشب وتنظف مكان المواشي وتقوم بعملية الحلب واستخراج الزبدة من الحليب، وعندما تفرغ تذهب للفتيل (خيراني، المرجع السابق، ص 138)، أصبحت تخرج للعمل في الحرف التقليدية والمهن النسائية التي نذكر منها:

5-1 عملها في المواد الغذائية:

اهتمت الجزائريات من الطبقة الفقيرة بقتل الكسكس، والحمصة، والدقيق، والبرغل، والشاربات وغيرها من خلال استخدام أواني المطبخ الجزائري كالدباسي، الصفحة، الطاسة، الليان، السيار، الغربال، والكسكاس (نفسه، ص 134)، وهي أواني تقليدية تساعدها على القيام بمهام القتل، لنقرأ بذلك حياتها المادية البسيطة التي تعتمد فيها على إعالة نفسها لسد رمق عيشها، ولذلك تظهر على المرأة علامات الكبر على المرأة الريفية بسرعة، وهذا دليل على تعبها في كسب قوتها، لنستنتج بذلك معاناتها خلال العهد العثماني ماديا. ولكننا لا نجزم أن كل النساء الريفيات عانين خلال العهد المذكور لأن المجتمع العثماني المحافظ خلال تلك الفترة حال دون الغوص في أعماق الحياة اليومية للمرأة الريفية خاصة والمرأة في المدينة والفحوص عامة.

5-2 صناعة النسيج:

اعتبرت الصناعة النسيجية من أهم المهن الممارسة في الأرياف، التي نذكر من بينها قبائل بني عباس التي عرفت صناعة البرانس الجيدة، وقبائل منطقة القرقور (بني ورتيلان، وبني عيدل، وبني يعلا وزمورة) التي اتقنت صناعة الزرابي، والأغطية المتميزة بألوانها الزاهية وأشكالها

المتناسقة، وقبائل الأوراس والنمامشة والحضنة التي أتقنت صنع الزرابي والحصير (القشاعي، 1990-1989، ص 17).

3-5 القابلة:

مارست المرأة الريفية في الغالب هذه المهنة خارج منزلها، بحيث كانت تذهب لبيوت النسوة وكانت تأخذ مقابل تعبها أجرها الخاصة التي لم يكن سعرها محدد عند غالبية من امتهنت الحرفة، وتذكر ليلي خيراني في هذا السياق أن عددا من النسوة تمكن من تجميع مبالغ لا بأس بها من خلال احترافهن لهذه المهنة، في حين أن أخريات لم يتمكن من ذلك، ومن خلال تفسيرنا رجحنا ذلك إلى أن النسوة التي لم يتمكن من جمع ثروة كن في الأرياف بينما الأخريات في المدن أي حسب الكثافة السكانية للمدينة أو الفحص أو الريف، وللتوضيح أكثر ارتأينا إدراج البعض منهن في الجدول التالي:

السنة	الاسم	المهنة	الثروة
1819	قابلة الخزناسي	قابلة	/
1820	امراة	قابلة	1860
1822	الحاجة نجمة	قابلة	4959
1830	عايشة	قابلة	11
1830	ليلي	قابلة	22

المصدر: ليلي خيراني، المرجع السابق، ص 141-142.

4-5 المسمعة:

كانت هاته الشريحة مخصصة للغناء في حفلات الختان والأعراس التي نذكر من بينها مجموعة من النسوة موضحة في الجدول التالي:

السنة	الاسم	المهنة	الثروة
1818	فاطمة	مسمعة	/
1822	معتيقة	مسمعة	1128
1827	مريم	مسمعة	40

المصدر: ليلي خيراني، المرجع السابق، ص ص 141-142.

5-5 المداحة:

السنة	الاسم	المهنة	الثروة
1830	فاطمة	مداحة	344
1830	فاطمة بنت يمينة	مداحة	1048
1830	فاطمة	مداحة	344

المصدر: ليلي خيراني، المرجع السابق، ص ص 141-142.

5-6 الطيابة:

اشتغلت الطيابة في الحمامات وكان لكل حمام امرأة خاصة به، وتجدر الإشارة إلى أن الجزائريين لم يعرفوا الحمامات إلا في العهد العثماني، وكغيرها من المهن التي امتنتها المرأة نجد أن

البعض منهم تمكن من تجميع ثروة في حين أن البعض منهم لم يتمكن من ذلك كما هو موضح في الجدول التالي:

السنة	الاسم	المهنة	الثروة
1819	الولية سعاد	طيابة	3063
1821	مباركة	طيابة	47

المصدر: ليلي خيراني، المرجع السابق، ص ص 141-142.

7-5 الماشطة:

هي إحدى المهن القليلة الذكر في أغلب الدراسات التاريخية، وتواجد الماشطة في الغالب في الحمامات كما سبق الذكر والتي نذكر من بينها :

السنة	الاسم	المهنة	الثروة
1830	الولية	ماشطة	1424

المصدر: ليلي خيراني، المرجع السابق ص 142.

8-5 الوكيلة:

السنة	الاسم	المهنة	الثروة
1830	آسيا وكيلة لالة زروق	وكيلة	5580

المصدر: ليلي خيراني، المرجع السابق، ص 142

من خلال المعطيات السابقة الذكر نلاحظ أن المرأة الريفية كانت حياتها صعبة مقارنة بالمرأة في المدينة والفحوص، وهذا ما دفعها للعمل خارج المنزل، والجداول السابقة الذكر تبين بعض العيّنات من النساء التي تنوعت حرفهن بين المسمعات والقابلات والطبايات والمداحات، ولحسن حظ البعض منهن تمكنوا من جمع ثروة معتبرة كالمسمعة عايشة التي قدرت ثروتها في سنة 1826 حوالي 1127 ريال والقابلة الحاجة نجمة التي جمعت 4959 ريال في سنة 1822، وكذلك الوكيله أسيا وكيلا لالة زروق التي قدرت ثروتها سنة 1830 بحوالي 5580 ريال بينما لم تتمكن العديد منهن من جمع ثروة، وبقي العمل لسد رمق العيش فقط كالمسمعة مريم التي بلغت ثروتها حوالي 40 ريال فقط في سنة 1827، ونفس الشيء بالنسبة للقابلة عايشة التي كانت ثروتها في سنة 1830 حوالي 11 ريال فقط، وهو مبلغ قليل جدا ونفس الحالة عاشتها الطباية مباركة التي قدرت ثروتها في سنة 1821 بحوالي 47 ريال فقط.

لنصل بذلك إلى نتيجة حتمية مفادها أن خروج المرأة للعمل كان إيجابيا على البعض، بحيث تمكنوا من جمع ثروة متوسطة ومرتفعة، في حين بقيت نساء أخريات تعاني الأمرين وتجاهه الظروف القاسية ومشقة الحياة بالعمل داخل البيت وخارجه.

6. علاقة المنطقة بالحرفة (خصوصيات كل منطقة):

اختلفت طبيعة الحرف خلال العهد العثماني من منطقة إلى أخرى، وبإمكاننا معرفة ذلك من خلال السلع المعروضة في الأسواق الأسبوعية الخاصة، حيث كان سكان المدن يتقنون صناعة الأقمشة، الأواني، الحلي، والمصوغات، ففي الجزائر العاصمة مثلا كان فيها سوقين باب عزون وباب الوادي، وتجمع الدراسات التاريخية على أن أسواق العاصمة تحتوي على أغلب المنتجات، ولكل حرفة سوق خاص بها، كسوق الزيت وسوق الكتان، وسوق اللوح، وسوق الصباغين، وسوق الحرايرية وغيرهم.

ولقد شكلت الأسرة خلال ذلك العهد وحدة إنتاجية مهمة رغم اختلاف فئاتها، فالفئة الأندلسية مثلا اشتغلت في صناعة الحرير في مدينة الجزائر نظرا لاستقرارهم بالمنطقة، وقد عرف الحرير بأهميته وجودته وبقدرته على تغطية حاجيات السوق وتصدير جزء منه نحو تونس. ومن بين الصناعات الحرفية التي انتشرت في الجزائر بكثرة نذكر أيضا شرائط الدانتيل (الشبيكة)، وكذلك الشاشية ولكنها تراجعت مع مطلع القرن 17م نتيجة تدهور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية.

كما اشتهرت دار السلطان أيضا بصناعة الصاغة التي لعبت فيها الطائفة اليهودية دورا كبيرا في ذلك نتيجة إتقانهم للحرفة، وقد استقرت أسواق هؤلاء في باب الواد، ولكن هذا لا يعني أن هذه الحرفة اقتصر في الجزائر دون غيرها، كما امتهن هؤلاء أيضا صناعة الحرير وصناعة الصابون الذي احتفظوا بأسرارهم لأنفسهم. وعليه شهدت الجزائر حركة تجارية كثيفة لأنها كانت مركز دار السلطان من جهة ومكان العديد من الحرف من جهة أخرى.

ومما لا شك فيه أن منطقة بايلك الشرق اختلفت مع دار السلطان من حيث المنتجات والسلع، بحكم خصوصيات المنطقة التي تميزت عن غيرها بصناعة الشاشية خاصة وأن المواد الأولية كانت تصل عبر القوافل الصحراوية المحملة بالأقمشة الحريرية والخيوط المذهبية وغيرها، بالإضافة إلى معالجة الصوف وصناعة الجلود والسروج، وحتى الجواهر التي لعبت الجالية الأندلسية واليهودية المتواجدة بالمنطقة دورا كبيرا في ذلك، وتجدر الإشارة إلى أن المنتجات الموجودة في قسنطينة تتشابه مع نظيرتها في تونس ونضيف إلى ذلك تصدير المنطقة للعسل والعنب والتين المجفف الذي برع فيه الأندلسيون وغيرها، بالإضافة إلى الصناعات النسيجية التي اشتهرت بها مناطق الغرب الجزائري التي تنوعت بين الكتان والصوف والحرير ودباغة الجلود، والغزل وصناعة الزرابي خاصة في تلمسان التي اشتهرت فيها النسوة بصناعة نوع من الأنسجة يسمى التلمساني (الأول من الصوف والثاني من الحرير)، بالإضافة إلى صناعتهم القفاطين السراويل التطريز وغيرها.

ولقد تميز بايلك الغرب عن غيره بصناعة الأواني الفخارية خاصة في منطقة ندرومة الأمر الذي سمح بوجود سوق تلمسان اليومين ويعود تنوع المواد الصناعية الحرفية في المدينة الى تنوع الفئات السكانية فلكل فئة حرفتها الخاصة بها، الأمر الذي مكنا من معرفة خصوصيات كل منطقة وطبيعة الحرف الممارسة فيها.

7 . علاقة الريف بالحرفة:

لقد ارتبطت العديد من الحرف بالأرياف باعتباره المصدر الأول للمواد الأولية في الغالب خاصة وان المواد كانت متنوعة بين نباتية وحيوانية وحتى معدنية، فالقطن مثلا كان يأتي من المسيلة وسهول الشلف، والصوف كان مصدره الثروة الحيوانية التي كانت تجلب من الهضاب والتل والصحراء، وكانت الصوف تستخدم عادة في صناعة البرانس والأغطية، وكانت تقوم بعملية الغزل نساء الأرياف من خلال استخدام أدوات بسيطة بالإضافة إلى قيامهن بصبغ الأصواف بأصباغ نباتية كالنيلة أو الزعفران وغيرها أو أصباغ حيوانية.

وإذا كان هذا الترابط بين أهل المدينة والريف سائدا أواخر العهد العثماني فإن الانفصال كان سيد الموقف أواخر العهد المذكور، لأن أسواق المدينة لم تعد فضاء تجاريا كالسابق بل صنع أهل الريف لأنفسهم فضاء خاصا بهم، أي أسواق أسبوعية وفصلية، ولكن هذا النشاط تراجع أواخر العهد العثماني نتيجة اتخاذ أغلب فئاته موقفا ضد السلطة لينكمش بذلك على نفسه حتى كاد أن يفقد صلته بالمدينة التي صارت تتخوف من سكانها القريين منها (صحراوي، 2012-2013، ص 150).

8. خاتمة:

توصلنا من خلال هذه الدراسة إلى مجموعة من الملاحظات العلمية هي :

- أن عمل المرأة التي تقطن المدينة والفحوص يختلف تماما عن عمل المرأة الريفية وهذا يعود إلى طبيعة ونمط عيش كل فئة، فإذا كانت المرأة الحضرية تعمل بغرض المشاركة

في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بدون مشقة، فإن المرأة الريفية تعمل بغرض سد رمق عيشها من خلال العمل داخل البيت وخارجه.

-لقد ساهمت المرأة بكل فئاتها وبكل مهاراتها في تعليم العديد من النساء وفتح بعض الورشات التي كانت الغالبية منهم في منازلهن.

-لقد تراجع النشاط الاقتصادي للمرأة أواخر العهد العثماني نتيجة تراجع الصناعات لأسباب عدة أهمها منافسة المنتجات الأوروبية للمنتوج المحلي، انخفاض الأسعار، قلة المادة الأولية، ارتفاع الضرائب التي كانت عائقا أمام مواصلة الحرفيين لنشاطهم، بالإضافة إلى قدم الوسائل المستخدمة في صناعة الحرف والصناعات.

9. المراجع:

-الكتب:

- 1- السليماني أحمد، 1989، تاريخ مدينة الجزائر، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية.
- 2- ج.أو. هابنسترايت، 2013، رحلة العالم الألماني ج. أو. هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145-1732)، تر، تق، تع: ناصر الدين سعيدوني، بيروت، دار الغرب الاسلامي.
- 3- بن عثمان خوجة حمدان، 2006، المرأة، تق، تع، تح: محمد العربي الزبيري، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية .
- 4- شويتام أرزقي، 2009، المجتمع الجزائري وفعالياته خلال العهد العثماني، الجزائر، دار الكتاب العربي.
- 5- محرز أمين، 2013، الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671، الجزائر، البصائر الجديدة.
- 6- سبنسر وليام ، 2006، الجزائر في عهد رياس البحر، تق، عبد القادر زبادية، الجزائر، دار القصبة.
- 7- كريم فضيلة ، 2007، الحمامات، تر: حضريّة يوسف، الجزائر، دار حلب.

-رسائل الماجستير او الدكتوراه:

- 1- بن بلة علي، 2001-2002، المصنوعات الخشبية بقصور قصبة مدينة الجزائر واواخر العهد العثماني (دراسة أثرية فنية)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر.
- 2- حمّاش خليفة ، 2006، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري، قسنطينة.

- 3- غطاس عائشة، 2000-2001، الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 (مقاربة اجتماعية- اقتصادية)، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر.
- 4- ليلي خيراني، 2012-2013، المرأة في مجتمع مدينة الجزائر خلال العهد العثماني 1818-1830، دراسة مستقاة من مصادر أرشيفية- ، أطروحة دكتوراه، جامعة الجزائر 2.
- 5- طيان شريفة ، 1990-1991، ملابس المرأة بمدينة الجزائر في العهد العثماني، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر.
- 6- القشاعي فلة، 1989-1990، النظام الضريبي بالريف القسنطيني أواخر العهد العثماني 1771-1837، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر.
- 7- كمال بن صحراوي، 2012-2013، أوضاع الريف في بايلك الغرب الجزائري أواخر العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران.